غـــــوايـــــات القـــــراءة

"أن تحـــسـبَ حـــصـــاد الـــسـنـين بعـــدد الـكـتـب الـتـي قـــرأت"

سعـــد محمـــد رحيم

(١)

يمنحني الحصول على كتاب جديد جيد الغبطة ذاتها التي يحسها الطفل وهو يتلقى هديته لعبةً جديدة جميلة كان يحلم بها في الليالي الفائتة. لعله نوع من الإدمان، أو هو حقاً إدمان. ولم لا؟ ما الضير في أن ندمن القراءة.. أن نهيم، حد الارتعاش، بالكلمة المطبوعة على ورق أبيض أو أصفر.. أن نقبض على تلك الكتلة من الأوراق المضمومة بين دفتين ونلصقها على القلب ونغمض عيوننا ونحلم، كما لو أنها صدر أنثى دافئ. فكل كتاب جيد ينطوي على وعد، واضعاً إيانا أمام أفق انتظار مغرٍ. يغمرنا بذلك القلق اللذيذ الذي يسبق شروع المرء بالمغامرة. بقصة عشق أخرى. بالدخول في الغابة المجهولة الغامضة التي تستدرجك عميقاً، عميقاً، إلى قلب الحياة، وإلى الخبيئ من ذاتك. هناك تجدك. تتماهى روحك مع المكتوب. أو تكتشف أن المكتوب ليس سوى صورة منفلتة من أناك..هنا يتجاوز الأمر فعل القراءة، إذ، وحسب ما يقول أدونيس في (كتاب الحصار): "كيف تمكن القراءة وأنت جالس في الكتاب ذاته الذي تقرؤه، أو تتحرك في كل سطر منه؟ وكيف يمكن أن تقرأ وأنت نفسك المكتوب ـ المقروء؟".

كان بورخس يتخيل الفردوس مكتبة هائلة عامرة، وكان جاستون باشلار يرفع يديه إلى الله في كل صباح متوسلاً: اللهم أعطنا كتباً كفافنا. وكان يعد نفسه حالم كلمات مكتوبة.. يقول في كتاب (شاعرية أحلام اليقظة/ ترجمة؛ جورج سعد): "أعتقد أنني أقرأ فتوقفني كلمة.. أترك الصفحة، فتدخل في هيجانها أجزاء الكلمة. وتنعكس الحركات الصوتية. فتترك الكلمة معناها كحمل ثقيل يعيق عملية الحلم. وتأخذ الكلمات معاني أخرى كما لو أنها يحق لها أن تكون في ريعان الشباب، عنها، تروح الكلمات تفتش في أدغال اللغة وكلماتها عن رفاق جدد، عن رفاق السوء". ثم يروح يتكلم عن تأملاته الشاردة حالماً لكل كلمة مذكر بمؤنث مشترك معها لأن حركات الإعراب وحدها لا تكفيه، ولأن كلمات اللغة منحازة للمذكر فلا يسعده إلا حين يعيد فتح الأعماق الأنثوية في الكلمات نفسها.. يقول: "إن لنهايات الكلمات المؤنثة عذوبة.. وهناك كلمات يشرب فيها المؤنث كل أجزاء الكلمة.. إن المؤنث في الكلمة يزيد من سعادة المتكلم". ويستشهد بعبارة لكلوديل؛ "إن الجملة تهتز عندما تدخل فيها معترضة مؤنثة". ليصل إلى تلمس ذلك الحب بين الكلمات التي خلقت مثل كل ما يعيش في هذا العالم، رجلاً أو امرأة. ويعود هذه المرة ليستشهد بمقولة لغابريل بونور؛ "الكلمات مثلنا تبحث عن كمالها في كلمة الحقيقة، فتمرداتها كتمرداتنا، وكذلك حنينها، تناغماتها وميولها، كلها ممغنطة بنموذج الخنثية المثالي". ولشخص مثل باشلار فإن حياتنا قراءة. لكن بالمقابل فإن الكتب الكبيرة، وكما يقول؛ تبقى سيكولوجيا حية لن ننتهي أبداً من قراءتها يوماً ما.

تكسر القراءة نمطية الواقع، ورتابته، وفتوره أحياناً وتخفف من حدته وضغطه وغلوائه أحياناً أخرى. إنها محاولة في إعادة التوازن، لها وظيفة استشفائية لا شك، إلى جانب وظائفها المعروفة. إننا لا نهرب إلى القراءة حين لا نعود نطيق الواقع. ونهرب بالقراءة من جهلنا بالواقع إلى إمكانية معرفته.. ندس أنفسنا أو قل عقولنا في عنفوان حركته بتناقضاتها وصراعاتها وإشكالياتها برضى وسرور أو مرغمين، حيث تصبح القراءة لبعضنا حالة إدمان حقيقية من الصعب التخلص منها. وهذا النوع الأخير من البشر/ القراء يمكن معاقبتهم وإيذاءهم بطريقة واحدة. أن تقطع عنهم الكلمة المكتوبة/ المطبوعة: الكتاب، الصحيفة، المجلة.. ضع واحداً من هؤلاء في زنزانة انفرادية وقل له بعد أيام؛ بم ترغب؟ سيقول لك؛ بكتاب.

وذات مرة مررت بتجربة قاسية كهذه، وقضيت ساعات أحلم بالكتب وأنا في دوامة من البرد والقلق والخوف ملقىً بين جدران أربعة.. أعانتني استعادة فحوى الكتب بالذاكرة، لكني ألفيت تأليف كتاب في الذاكرة أمراً أكثر فائدة ومتعة.. هل (المتعة) كلمة مناسبة لما نطلقها على حالة شخص معتقل؟ ربما. وقد تحدثت روزا لوكسمبورغ عن غبطةٍ هائلة لم تخبرها من قبل، داهمتها وهي في حمى التخيل داخل زنزانة انفرادية. وتأليف كتاب في الذاكرة عملية تخييل محض. مرجعيتك فيها ذاكرتك.. كنت أشعر، في لحظات، أنني لو جاءت الفرصة لأفرغت كتابي الذي في الذاكرة، من دون توقف، على الورق خلال ساعات. هذا ما يعرفه السجانون، ولهذا يعذبونك بحرمانك من القراءة والكتابة. وإن امتلكوا وسيلة تقنية ناجعة لعطّلوا عندك قدرة التخيل أيضاً.

(٢)

في تسعينيات الحصار، لم يكن من السهل الحصول على كتب صادرة حديثاً، تستحق القراءة.. كان أي كتاب من هذا القبيل يقع بين أيدينا يعد لقية ثمينة علينا التعامل معها بود وحميمية واحترام. في هذه الآونة كنت أدون مقتبسات، أحياناً طويلة، من الكتاب الذي يمدني به الأصدقاء لفترة محددة لتوقعي أنني ربما لن أقع عليه ثانية.. وهكذا صارت عندي مقتبسات من عشرات الكتب حفظتها في عشرة دفاتر من تلك التي يستخدمها طلبة المدارس، وما زلت أتصفحها بين الوقت والآخر، أقرأ منها واستشهد ببعض مقاطعها في دراساتي ومقالاتي التي أكتبها.

كذلك، أضع تحت اليد، دائماً مجموعة كتب يربو على العشرين كتاباً، أقرأ مقاطع منتخبة منها بين الحين والآخر. وقد تتغير بعض عنوانات القائمة التي تتضمن هذه الكتب، وأحسبها عموماً من أفضل ما قرأت، ولاسيما في مجال الدراسات والأبحاث. منها (الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء) لإدوارد سعيد، و (نحن والآخرون) لتودوروف، و (نقد الحداثة) لألان تورين، و (الدولة والأسطورة) لأرنست كاسيرر، و (المراقبة والعقاب) لميشيل فوكو، و (الإنسان ذو البعد الواحد) لهربرت ماركوز، و (المعرفة والسلطة) لجيل دولوز، و (العرب والفكر التاريخي) لعبد الله العروي، و (الشعر والتجربة) لأرشيبالد ماكليش، الخ. وأذكر أنني اطلعت قبل مدة قصيرة على نصيحة لأحد الكتّاب، لايحضرني اسمه، يرى أن قراءة وإعادة قراءة مجموعة منتقاة من الكتب أكثر فائدة من قراءة عدد كبير منها. وأظنني أتفق معه بنسبة ٥٠٪، فثمة كتب يجب إعادة قراءتها، جرياً على أطروحة باشلار التي تقول أن القراءة الحقيقية هي القراءة الثانية. لكن تبقى هناك الكتب الجيدة والجديدة بأسلوبها وتقنياتها وأفكارها والتي لا غنى عن قراءتها على الإطلاق، إذ كيف يمكن تحسس نبض الثقافة الحية من غير قراءة آخر ما تتفتق عنه عقول المفكرين والمبدعين في العالم؟.

(٣)

اعتدت منذ وقت مبكر، منذ الثمانينيات أو قبل ذلك، أن أسجل في قائمة الكتب التي أقرأها؛ (عنواناتها، ومؤلفوها، ومترجموها إن كانت مترجمة، ودور النشر التي أصدرتها، وعدد صفحاتها) لأعرف في نهاية السنة، كم قرأت من كتب.

هل يعني هذا أنني أقيس، في جانب ما، ثمرة الحياة بعدد الكتب المقروءة؟ ربما نعم. وما يؤكد هذا شعوري بالإحباط والحسرة حين أجد قائمة المقروء قصيرة، وعدد الكتب المدونة فيها قليلة.. هذا ما حصل معي في السنة المنصرمة (٢٠٠٧). لم تكن في القائمة سوى اثنين وثلاثين كتاباً. أقصر قائمة منذ بدأت القراءة. ورحت أسوق الأعذار لنفسي؛ لأنك قرأت كثيراً من المقالات والنصوص المنشورة على مواقع الإنترنت وفي الصحف والمجلات.. لأن الكتابة أخذت جلّ وقتك ولاسيما عن نصف الكتب التي قرأتها.. لأن الوضع الأمني وفقدانك لأصدقاء ومعارف في خضم الحرب الحالية المجنونة أبعدك عن القراءة لأيام وأيام. لأنك عشت حالة من عسر الحال لم تعرفها منذ فترة طويلة.. أو هذا ضريبة العمر فأنت لم تعد ذلك الشاب ذو العيون الحادة التي لا تتعب. أذكر أنني قرأت ذات مرة اعترافاً لأحد الكتّاب العرب كان قد التقى في أيام شبابه جان بول سارتر فقدّم نفسه للفيلسوف الكبير بأنه يهيئ نفسه ليكون كاتباً فسأله سارتر كم ساعة تقرأ في اليوم؟ فأجاب الشاب، وهو يعترف إنه كان يبالغ؛ ست ساعات. فنهره سارتر؛ وكيف تريد أن تصبح كاتباً، من يهيئ نفسه للكتابة وهو شاب في عمر كعمرك عليه أن يقرأ ثماني عشرة ساعة في اليوم!.

لم تقنعني هذه الأعذار كلها، ولم تعزني إلاّ نصف تعزية، ولم تزح مشاعر القنوط والحزن والإحباط والحسرة في داخلي إلاّ قليلاً.

والآن ماذا قرأت؟.

في حقل الدراسات والأبحاث قرأت أولاً كتاب (لعبة وسائط الإعلام: السياسة الأميركية في عصر التلفزيون) ومؤلفوه ثلاثة هم؛ ستيفن إينزلابير وروي بيير وشانتو إينجر.. وفيه يصل المؤلفون إلى نتيجة أنه؛ "قد أصبحت الشعوب الغربية أكثر انتقاداً للحكومة وأقل إيجابية في مشاعرها نحو النخب السياسية".. وقرأت كتاب (عن الدولة الحديثة والأمة والنزعة القومية في العراق العربي وكردستان) لمؤلفه الدكتور سعد بشير اسكندر، وفيه يقول؛ "صحيح أن ما بني في العراق هو دولة حديثة. ولكن، هذه الدولة وبسبب العقلية الضيقة للنخب السياسية الحاكمة المتعاقبة، كانت غير مؤهلة أو قادرة على البدء بعملية بناء أمة حديثة". وقرأت كتاب (أفول السيادة: كيف تحوّل ثورة المعلومات عالمنا) لمؤلفه ولتر. ب. رستون، وفيه يقول؛ "لقد كانت المعلومات دائماً قوة، أما الآن فقد أصبحت ثروة كذلك. ولكونها غير مادية ومتحركة للغاية، بمساعدة التقنية العصرية، تستطيع المعلومات أن تتهرب من سيطرة الحكومة بسهولة أكبر بكثير مما تستطيعه أنواع رأس المال الأخرى".

واستشهاداتي من هذه الكتب، هي اعتباطية إلى حد بعيد، وقد لا تعطي فكرة واسعة عن فحوى الكتب تلك التي هي أغنى بالتأكيد من هذه المقتبسات المبتسرة.

ومن كتب الدراسات التي قرأتها كتابان لحسن العلوي هما (العراق دولة المنظمة السرية) و (دولة الاستعارة القومية)، كما قرأت كتاب (الاستشراق والإسلام) لمجموعة باحثين وبترجمة الدكتور فالح عبد الجبار. وقد سبق أن كتبت عرضاً له نشر في (المدى). وقرأت كتاب (٦ نزهات في غابة السرد) لأمبرتو إيكو، وكتبت دراسة مقارنة بينه وبين كتاب إيتالو كالفينو (٦ وصايا للألفية الجديدة).

ويدفعني الحنين أحياناً لإعادة قراءة كتب كنت قد قرأتها قبل عشرين أو ثلاثين سنة. وفي هذه السنة عدت لبعض الكتب الماركسية منها؛ (الماركسية السوفياتية) لهربرت ماركوز و (الماركسية بعد ماركس) لبيير سويري وفصول من كتاب (أصول الفلسفة الماركسية) لجورج بوليتزر وجي بيس وموريس كافين. وقرأت كتاب (كارل ماركس) لفرانز مهرنغ.

أما الروايات فعشقي لقراءتها يفوق عشقي لقراءة أي نوع آخر من الكتابة والتأليف. وفي كل سنة لابد أن يكون نصف ما اقرأ هو من الروايات، أو من النصوص السردية الأخرى كالقصة القصيرة والسيرة والمذكرات.. وفي هذا المجال قرأت (بورخس: مساء عادي في بوينس آيرس) وهو كتاب مذكرات من تأليف ويليس بارنستون. و (أنا وحماري) نصوص لخوان رامون خيمينث. و (سنة موت ريكاردوريس) و (العمى) وهما روايتان لجوزيه ساراماغو. وقرأت (عاصفة الأوراق) و (ذاكرة غانياتي الحزينات) وهما أول وآخر رواية كتبهما غابريل غارسيا ماركيز. وقرأت (حكايات إيفا لونا) و (ابنة الحظ) و (صورة عتيقة) مجموعة قصص وروايتان لإيزابيل الليندي. كذلك قرأت روايتين لماريو بارغاس يوسا هما (حفلة التيس) و (شيطنات الطفلة الخبيثة). ولـ ف. س. نايبول قرأت رواية (بذور سحرية). ولياسوناري كاواباتا قرأت رواية (العاصمة القديمة). ولجيمس بولدوين قرأت رواية (قل لي كم مضى على رحيل القطار) ولأورهان باموق قرأت رواية (البيت الصامت)، حيث لم أقرأ لصاحب نوبل ٢٠٠٦ أية رواية أخرى من قبل.

هذه النصوص السردية كلها كتبتُ عنها عروضاً نُشرت في صحيفة (المدى) خلال الأشهر الماضية. أما آخر ما قرأت فكانت رواية (أمستردام) للروائي الإنكليزي إيان مكيوان. و(أفواه الزمن) وهو كتاب يحوي أكثر من مائتي نص سردي، نصوص يمكن تجنيسها قصصاً قصيرة جداً، تفصح عن طاقة شعرية مشعة، وتنطوي على دلالات إنسانية عميقة. ومؤلف الكتاب هو الكاتب الأورغوايي إدواردو غاليانو وقد صدر عن دار المدى/ دمشق/ ٢٠٠٧ بترجمة؛ صالح علماني.. الكتاب الأخير هذا أعدّه واحداً من أجمل وأمتع الكتب التي قرأتها في حياتي.

مـــجـــلات

من أين تـــشتق ثقـــافـــة تمجيـــد المـــوت مفـــاهيمهـــا؟

صـــدور العـــدد ٣٦ مـن مجلـــة قـضـــايـــا اسلامـيـــة معـــاصـــرة

محمد حسين الرفاعي
بـــغـــــداد

صدر في بيروت |العدد٣٥-٣٦ (شتاء وربيع٢٠٠٨) من مجلة قضايا اسلامية معاصرة، التي يصدرها مركز دراسات فلسفة الدين في بغداد،. وتناول العدد ملفا بعنوان (الإرهاب وباء والعنف مرض : من اين تشتق ثقافة تمجيد الموت مفاهيمها؟).

واستوعب الملف مجموعة مساهمات، فتناول رئيس التحرير الدكتور عبدالجبار الرفاعي في المقدمة قضية (إنقاذ النزعة الانسانية في الدين) وأشار فيها الى أن التعصب والعدوانية والاستغلال ظواهر متفشية في الاجتماع البشري عبر التاريخ، كما ان عنف الانسان ضد أخيه الانسان ليس طارئا في الحياة، بل هو سلوك بيولوجي، وسياسي، واجتماعي، وديني، وثقافي مترسخ في دنيا الانسان.

وفي باب حوارات ضم العدد حوارا مع الدكتور عادل عبدالمهدي بعنوان (الارهاب وباء والعنف مرض) عالج فيه الجذور المتنوعة للارهاب والعنف، وميز بينهما، اذ اعتبر العنف بمثابة المرض، والمرض ظاهرة طبيعية في الحياة لا يمكن ايقافها، اما الارهاب فهو بمثابة الوباء.

وجاء الحوار الثاني مع الاستاذ مصطفى ملكيان بعنوان(لا اكراه في الدين: العنف هو الوسيلة الخطأ للتدين والمعنوية والفضيلة) . شرح فيه مفهوم العنف وما يمتاز به العمل العنيف عن سواه، واشار الى أن العنف من الأمور اللازم تصنيفها في خانة الشرور التي لابد منها، فينبغي أن يتجه مسار البحث نحو تحديد طبيعة الأحوال والأوضاع التي يكون من السائغ فيها اللجوء الى العنف،وان ارتكاب هذا الشر (اللابد منه) لا يجوز إلاّ بعد توافر اربعة شروط؛ ثلاثة منها شيئية واقعية ((Objective والشرط الرابع ذهني نفسي (Subjective). وتضمن العدد ندوة عالجت(بنية العنف ومنابعه واشكاله وتجلياته) شارك فيها:

١. الشيخ محمد مجتهد شبستري . أستاذ في كلية الإلهيات بجامعة طهران . قسم فلسفة الدين والعرفان.

٢. الدكتور أبو بكر باقادر. أستاذ علم الاجتماع في جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

٣. الدكتورة سعاد الحكيم . أستاذة الفلسفة الإسلامية والتصوف في الجامعة اللبنانية، ورئيس مركز دندرة الثقافي.

٤. الدكتور هشام داود . باحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية في المركز القومي الفرنسي للبحوث العلمية في باريس.

وبصراحته المعروفة تحدث الشيخ محد مجتهد شبستري عن العنف فقال: أنا أركز على العنف في مجتمعاتنا ولا أريد ان أبحث المسائل العامة المرتبطة بالعنف، بل أركز على مجتمعاتنا الإسلامية. أظن ان كثيراً من الأمور التي نراها الآن عنفاً ونشعر بأنها عنف، لم تكن عنفاً في الزمن القديم. ذلك ان القيم الإنسانية تغيرت، والعواطف الإنسانية تغيرت.

ولخص الدكتور ابوبكر باقادر المنابع التي يستقي منها العنف بقوله:

١ ـ إذا كان الإنسان يعتقد بأنه يمتلك الحقيقة، ولا توجد الحقيقة المطلقة إلا لديه، وان غيره دائماً على خطأ، هنا يبدأ الشرخ الأساسي في اللاتسامح مع الآخر، ويصبح وقتئذ من الطقوس إكراه الآخر وقسره على ما يعتقد انه الجادة المستقيمة، باستخدام العنف المقدس أو العنف المشرعن.

في هذا الإطار نجد ان مجموعة من الفرق الدينية ارتكزت على حديث الفرقة الناجية. ولذلك تدعي بعض الجماعات الإسلامية بأنها الفرقة الناجية وغيرها من الفرق هي الضالة. وينجم عن هذا الاعتقاد ما يلي:

أ- الشعور بالاستعلاء، بفعل الاعتقاد بامتلاك النجاة.

ب- الشعور بالتبرم من الخصم،لأنه في نظرها يدافع عن الخطأ، أو يتبنى الخطأ.

ج- البحث عن وسائل تؤكد الشعور بالاستعلاء، فإذا كان لدى أصحاب الفرقة الناجية القوة أو السلطة فإن ذلك يعد مبرراً كافياً لتوظيف ذلك في إكراه الآخر وزجه في الطريق الذي يقوده الى النجاة .

وهذا لا يقتصر على المسلمين، وإنما نجده في طائفة من الأديان والشرائع، التي تصف من لا يتفق مع معتقدها الرسمي بالهرطقة.

واحالت الدكتورة سعاد الحكيم العنف الى العوالم الجوانية العميقة للبشر فإن العنف المسلح يبدأ من داخل الإنسان، كل ما هو في الظاهر يبدأ من داخل الإنسان، من ثقافة الإنسان، من نفسية الإنسان، من الأفكار التي تربى عليها، من نظم القيم التي يحملها، كل هذا يبدأ من داخل الإنسان.لم يظهر العنف فجأة في تاريخنا، ولا ظهر بهذه الحدة بين عشية وضحاها، وانما ظهر على مراحل، لم نكن على وعي تام بملابساتها، فقد كان يظهر بمرحلة، وكل مرة يزداد ويتجلى في أكثر من ميدان.

وتسائل الدكتور هشام داود : هل العنف غريزة طبيعية لدى الانسان؟ واجاب: في الحقيقة قيل وكتب الكثير حول هذه الاشكالية، والجملة الأكثر تردداً تلك المنسوبة للفيلسوف هوبز (الانسان ذئب لأخيه الانسان ...). والغريب، رغم تكرار هذه الجملة حد دخولها حيز الأقوال الكلاسيكية والمأثورات الكلامية، نلاحظ بأن جل" من يردد قول هوبز ينسى بأن الفيلسوف كان يقول بأن: (الأنسان ذئب لأخيه الانسان في حالته الطبيعية)، أى في حالته الطبيعية الفطرية. وهوبز لم يبق منفرداً في ذلك، حيث لحقه الكثيرون، منهم على سبيل المثال العالم النفساني النمساوي سيغموند فرويد. هذا الأخير كان يرى بأن الثقافات والحضارات كانت تدخل العديد من التقييد لتحديد وتقنين العنف. في المقابل، كان هناك تيار تاريخي معاكس، وأحد أعمدته الفكرية المهمة هو الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو، الذي كان يرى بأن الأنسان مسالم منذ البدء وبالفطرة، ولكن المصالح الأنانية والملكية الخاصة والمراتبية الاجتماعية هي التي خلقت العنف وقننت له. بكلمة أخرى، عند روسو المسير يبدأ بشكل معاكس تماما.

وفي بحثه عن البنى الاجتماعية للعنف اثار الاستاذ هشام داود قضيتين للنقاش:

الاولى: من خلال قراءتنا للتاريخ العربي والأسلامي الوسيط، بل وحتى المتقدم منه، نلاحظ الكثير من النصوص المتعلقة بمفهوم العدل والعدلية. في المقابل لا نرى ما يوازيها من الاهمية حول مفهوم الحرية. التراث الأسلامي يتوقف دائماً عند تلك الثنائية الفلسفية: الظلم والعدالة، ويشبعهما بمحتوى سياسي وديني ـ أخلاقي. ولكن لا نعثر على ما يذكر حول ثنائية مفهومية أخرى: الطغيان والتعسف من جهة، والحرية من جهة أخرى. بمعنى آخر، الحرية تشكل مفهوماً جديداً في تراثنا، مما دفع بالعديد من المثقفين العرب والمسلمين لخوض محاولات فكرية لإستنباط الحرية من مفهوم العدالة.

وفي باب دراسات نشرت المجلة عدة بحوث، فكتب الدكتور ماهر الشريف دراسة موسعة عن

(المصلحين الجدد من دعاة اللاعنف وموقفهم من الجهاد) واشار فيها الى انه في مواجهة العنف المسلح الذي لجأت إليه بعض الحركات الإسلامية، ومارسته تحت اسم "الجهاد "، دعا بعض العلماء والمفكرين المسلمين، الذين اندرجوا، إلى هذا الحد أم ذاك، في تيار الإصلاح الديني، إلى تبني منهج اللاعنف في الدعوة إلى الإسلام، ورأى بعضهم أن ظاهرة العنف المسلح قد نبعت من الترابط الذي أقيم بين الإسلام والسياسة، بينما أكد بعضهم الآخر أن القضاء على هذه الظاهرة لا يمكن أن يتم دون إعادة النظر في فقه الجهاد الموروث عن إسلام العصر الوسيط. وسأحاول فيما يتبع أن أتوقف عند مساهمات أربعة من هؤلاء العلماء والمفكرين المسلمين، وهم الإمام محمد مهدي شمس الدين، والشيخ جودت سعيد، والشيخ خليل عبد الكريم، والمفكر محمد شحرور.

وتناول عالم الاجتماع اوستن تي. ترك(علم اجتماع الارهاب)في بحث ترجمه الدكتور ابو بكر باقادر، فخلص الى انه كيفما يقارب الفرد الدراسة السوسيولوجية للإرهاب، فإن الهدف المميز هو تطوير تفسير لأسبابه وديناميات تسارعه وتباطئه بالنسبة لأشكال أخرى من العنف السياسي وتأثيره على إستقرار وتغير النظام الإجتماعي.

وعالج الدكتور محمد الطالبي العلاقة العضوية بين التكفير والعنف السياسي، فقال: إن السؤال الذي ألقيه على نفسي في كآبة شديدة إلى حد القلق ـ ولا مانع من ان يلقيه كل على نفسه ـ هو هذا: لقد تألم المسلمون كثيراً في الماضي من التوظيف السياسي للإسلام، فخدموا من خدموا، وعارضوا من عارضوا، واتخذوا من الدين مقافز للسلطة، وركبوه مطايا يحدوها حادي التكفير والهجرة، فتفرقت بهم السبل... فهل سنبقى على هذه الحالة إلى الأبد؟ أم هل سنعتبر بالتاريخ ـ وقد أراده مسكويه تجارب وابن خلدون عبراً ـ فنقطع عما تألمنا منه، وشق صفوفنا، وفرق فرقنا إلى حد تكفير بعضنا البعض، واستحلال دمائنا، ثورة وردعاً، بأوجه يعسر حصرها؟

ويكتب الدكتور ابو يعرب المرزوقي عن (هرمينوطيقا تعريف الارهاب) فيخلص الى أن المماحكات البيزنطية العربية في تعريف الإرهاب سببها التهرب من النقد الذاتي للأنظمة العربية في علاقتها بمعارضاتها، علاقتها بها التي صيرت المعارضات إرهابية بظلمهم اللامحدود وبعدم تمكين المعارضين من التعبير السلمي عن مطالبهم، وفي علاقتها بحركة التحرير التي جعلها ضعف الأنظمة وديماغوجيتها للحصول على شرعية كاذبة بحصر الظلم في النوع الخارجي، التغطية عن النوع الداخلي تخلط بين التعبير الساذج عن أمزجة أمراء الفصائل والخطط التحريرية التي تقتضي طبيعة الحروب التحريرية أن تكون وسائل للوصول في الغاية إلى تفاهم ما مع العدو ولو إلى حين.

ويحلل الاستاذ محمد عطوان مفهوم (المقدس وحدود الصدام بين الجماعات السياسية في العراق) فيستنتج في الأخير أن التغييب التاريخي للبنى/للنصوص يجعلها تتضخم كعلامة . بتعبير دريدا . تضخما مطلقا. التضخم بذاته الذي يشير من خلال وجه أو ظل له إلى عرض، حتى لكأن حقبة تاريخية . ميتافيزيقية باتت مطالبة بأن تحدد فضائها الإشكالي كله كلغة، مهددة في حياتها، ضائعة ومبلبلة لكونها لم تعد تعرف حدودا لها، ومحالة إلى تناهيها الخاص.

ويتساءل الدكتور محمد الشيخ في عنوان دراسته المنشورة في الملف(هل كانت الحضارة العربية الاسلامية حضارة حوار؟) ويحرص على الحفر والتنقيب فيكتشف وجود تيارين عميقين متناقضين متصارعين: تيار "أهل الحرف" المضيق على الحوار، وتيار "أهل الروح" المنشرح للحوار المقبل عليه. ولقد ظل هذان التياران يتعايشان تارة ويتوجهان تارة أخرى، بل وجدا تجسيدهما في الحقبة الواحدة، بله المدرسة الواحدة، بله المفكر الواحد.

ويتناول الاستاذ ماجد الغرباوي (تحديات العنف) المختلفة، ويدلل على ان العنف لا يمكن ان يقود يوما ما الى شاطئ السلامة والامان، بل العنف لا يولد إلاّ عنفا مماثلا، ناهيك عن الآثار الكبيرة الناتجة عن ممارسته. لقد بحث الاستاذ الغرباوي تحديات العنف بدراسة مسهبة أطل فيها على آثاره التدميرية في الاجتماع والسياسة والثقافة والتمدين والاقتصاد والتنمية.

وكانت خاتمة الملف دراسة للباحث السوداني الراحل محمد ابو القاسم حاج حمد، عالجت قضية (الآخر وشرعة السيف) لخص فيها رؤيته للقتال والجهاد بالسيف، وارتباط شرعة السيف تاريخيا بتشكيل الامة الوسط في عصر البعثة، ثم التحول إلى الحوار العالمي بعد استكمال تكوين "الأمة الوسط" وإدماج الأرض المقدسة بالأرض الحرام وإنجاز الحقبة النبوية الشريفة لمهماتها التأسيسية وفق معايير "النصرة الإلهية" و "التدخل الإلهي" يتحول الأمر إلى "حوار عالمي" بمنطق "المجادلة الحسنة" حيث تتضمن "عالمية الخطاب" التوجه لاستيعاب وتجاوز كافة "المناهج المعرفية" والديانات، واستيعاب وتجاوز كافة "الأنساق الحضارية" إظهاراً للهدى ودين الحق.هنا يأتي "التعايش الإيجابي" و "التفاعل" و "التعارف" وحتى "التسامح" ومع كافة الكتابيين من يهود ونصارى ومجوس وصابئة من الذين بقوا من الحيز الجغرافي لما "ألحق" بالأمة الوسط بموجب الآية (٣) في سورة الجمعة.

وفي باب نقد العدد الماضي قدم الشاعر والناقد احمد عبدالحسين مراجعة تقويمية لملف (بسط التجربة النبوية) في العدد السابق، وشدد على ان المرجعية العميقة والمشبعة بالرؤيا لتحديث التفكير الديني تكمن في ميراث العرفاء، فإن عرفاء الإسلام هم الآباء الشرعيون للمفكرين الأحياء من المجددين، الذين تطمح كل كتاباتهم إلى الوصول إلى حقيقة أن كلّ خطاب دينيّ ممكن هو قول على قول، وأن رسالة الإله هي من السعة والإبهام بحيث لا يمكن لنا روايتها إلا مختلطة بكلامنا الشخصيّ عنها.

نـــــدوات

ندوة عن المسكوت عنه في ملحمة كلكامش والاساطير السومرية القديمة

حسين كريم العامل

ضمن موسمه الثقافي الحالي وفي خطوة لتفعيل حركة التواصل الابداعي بين ادباء ومثقفي المدن العراقية استضاف المركز الثقافي في الناصرية الناقد ناجح المعموري والشاعر موفق محمد في ندوة جماهيرية عقدها على قاعة المركز الثقافي في الناصرية حضرها جمهور كبير من الادباء والفنانين المهتمين في الشأن الثقافي . حيث ألقى الشاعر موفق محمد في الندوة التي ادارها الكاتب علي شبيب ورد باقة من قصائده الفصحى والشعبية ولاسيما قصيدة غزل حلي التي قوبلت باستحسان وتصفيق الجمهور بعدها القى الناقد والباحث ناجح المعموري محاضرة ثقافية في الفكر الرافديني القديم سلط فيها الضوء على المسكوت عنه في ملحمة كلكامش والاساطير السومرية القديمة مع التركيز على انساق الصراع بين الالوهة المؤنثة والالوهة المذكرة وتنامي فكرة الاستبداد وظهور الملك الطاغية في الاساطير المذكورة .

وعن ابرز ما تناولته المحاضرة قال المعموري للمدى الثقافي :

تضمنت المحاضرة اشارات مركزية للبحث عن المسكوت عنه في ملحمة كلكامش والكشف عن نسقي الالوهة المؤنثة والالوهة المذكرة مع تقديم نصوص تنطوي على الصراع النسقي فيها (الملحمة) حيث تم الحديث عن عناصر الأم الكبرى والالوهة المؤنثة ممثلا باستجابة الأم الاكدية الكبرى (اورورو) لطلب الالهة انو لتخليق شخص يقف ندا وغريما للملك الطاغية كلكامش ، وتم فعلا تخليق شخصية انكيدو على وفق عناصر التخليق السومري حيث تم تخليقه من خلال مزج الترابي مع اللعاب وكلن انكيدو ، ومن تبديات النسق الامومي بالملحمة ارسال الكاهنة شمخت لتبدأ بحوار كان الاتصال الجسدي هو لحظة التبادل الثقافي والفكري بين النسق الامومي (شمخت) وبين انكيدو الصحراوي المتوحش حيث كان الجسد وظيفة ثقافية وفكرية وليست استهلاكية لإشباع اللذائذ والرغبات ، ومن تبديات النسق الامومي ايضا ارتباط اهم الوحدات الثقافية في الملحمة مع الرمز القمري الدال على سلطة الالوهة المؤنثة في انتاج خطاباتها المتنوعة واتضح هذا بيّناً في التخليق الانكيدوي مساءا وفي لحظة الاتصال الجسدي مع شمخت مساءا وفي استجابته للتبادل الحضاري عبر قبوله بشرب الخمر اولا وتناول الخبز ثانيا وايضا من خلال دخوله الى مدينة اوروك ولكن تطورات البناء الفني للملحمة كشف عن حصول قطيعة معرفية مع النسق الامومي من خلال المصالحة مع كلكامش والذي يمثل لحظة تبلور الخطاب الذكوري ثقافيا ودينيا وتحول انكيدو الى الضد من الوظائف الامومية التي خلق من اجلها وهي وظائف الالوهة المؤنثة حيث عطل بالكامل طقوس الزواج الالهي المقدس واوقف نهائيا ممارسة الجنس كوظيفة دينية وحلت المثلية بين انكيدو وكلكامش بديلا للجنس المخصب حيث غابت تماما الاشارات النصية لوجود ممارسات للاتصال الادخالي بين الاثنين وبين أي امرأة كانت وهذا سؤال يمثل اشكالية ثقافية في الملحمة لاننا نعرف من خلال النص بان كلكامش كان مهووسا بممارسة اللذائذ وكذلك انكيدو الذي عرف عنه اسطورية الانشغال بالجسد الانثوي لانه أقام اتصالا تبادليا مع شمخت استمر ستة ايام وسبع ليال ، وكشفت الملحمة عن انشغالات انكيدو وكلكامش بازاحة الرموز الدالة على الخطاب الامومي ممثلا له بقطع اشجار الارز وقتل الافعى وخمبابا واعلن النص عن سيادة الخطاب الذكوري / السياسي / كلكامش وتهميش كامل لشخصية انكيدو وحصول قرار الاغتيال له في اجتماع مجلس الآلهة الذي كان فيه الاله أنليل مهيمنا وطاغيا لاملاء قرار الاغتيال بعد تمكن الاثنين من القضاء على آخر الرموز الدالة على سلطة الالوهة المؤنثة معبرا عنه بالمثور السحري السماوي الذي كان انذاك علامة دالة على الخطاب المنهار وصعود الخطاب الذكوري البطرياركي .

فيما قال الشاعر موفق محمد عن زيارته لمدينة الناصرية التي وصفها الباحث المعموري بالحج لمدينة سومر:

انا فرح بتوأم مدينتي الناصرية التي احبها وأرى جذوري تمتد فيها بعيدا عن هذه المدن التي اضاءت العالم منذ بدء الخليقة أراها الان ذابلة وتعاني من الاهمال والنسيان ارجو ان يلتف العراقيون الى مدنهم قبل ان يلتفت اليها الغرباء لانها مدننا التي تضيف بعدا اخر لقاماتنا .

وقد تفاعل جمهور الحاضرين مع موضوع الندوة حيث شهد الوقت المخصص للمناقشة المزيد من المداخلات التي شارك فيها كل من الاديب احمد الباقري والناقد خضير الزيدي والقاص كاظم الحصيني والفنان عبد الحسين ماهود والقاص ح